ـ هل تتنفّس؟.

أكّدت المرأة الفتيّة مُفزَّعة:

ـ أجل. إنها تتنفّس، إلا أني لا أُفلح في إعادتها إلى رشدها.

ظلّ «هرمز» متهالكاً على أريكته ناسياً كل جلال، وعقله في دوّامة من كوابيس. ولاح لـ «كردير» أن اللحظة مؤاتية لمدّ إصبع يحمل اتّهاماً:

ـ الكفر الذي اخترق هذا المكان يجتذب إلينا المصائب. لقد نُطِق بكلماتٍ فيها تجديف. وإذا حدث مكروه لابنة الأمير فسيكون الذنب ذنب هذا «الناصريّ» اللعين الأعرج.

كان «هرمز» قد فقد كلّ تمييز وكلّ إرادة. وكان كل أحد في حاشيته يعرف ما يكنّ من تعلّق بابنته. فقد ماتت زوجة الأمير الأثيرة وهي تضعها فمحض «هرمز» الطفلةَ كلَّ ما كان يشعر به من حبّ لأمّها. وعليه فقد كان يكفي أن يُعيِّن له «كردير» المسؤول المُفْتَرَض عن شقائه لكي ينظر صوب «ماني» بحنق بالغ. بيد أنّ هذا لم يفقد ثقته بنفسه:

ـ أنا طبيب. وبدلاً من استخدام مرض الطفلة في مناظرة دنيئة دعونا نحاول بالحري شفاءها. ليقُدْني أحدكم إليها!.

وإذ لم يرغب «هرمز» في إهمال أي رجاء فقد صحب «ماني» إلى سرير الطفلة.

كانت ممدَّدة وشعرها مضفور بعناية فائقة وثوبها محتفظ بأمانةٍ بطيّاته حتى ليُقال إنها مَيْتة. وكان صندوق أُسيء إقفاله فبرزت منه دُمية مكسورة هو الوحيد الذي يُضفي على الغرفة لمسة من فوضى وحياة. تلك الغرفة التي لم تكن مع ذلك غير مقطع من الخيمة الأميرية جُعل لها بمثابة باب صفٌّ من الحبال الدقيقة مثقلةً بالأصداف الملوّنة المرتفعة نحو ذراع عن الأرض. لكي تكون الأميرة وحدها القادرة على الدخول من غير أن تجعلها تُصْلِصل.